مناقشة تاريخية

بقلم : الاستاذ عبد الحميد الدهيلي

— ١ —

نشر الدكتور عبد العزيز الدوري في ثلاثة اعداد متوالية من مجلة البطحاء الغراء موضوعا بحث فيه عن الروح العربية أو الفكرة العربية وتحفزها في الدور الجاهلي والاسلامي ضد الطغيان الأجنبي فكان الموضوع مهماً وذا مغزى سامي ومغري جداً على قراءته والأطلاع عليه لأن البحث عن روح الجماعات العربية في الادوار الاسلامية وغير الاسلامية يستحق العناية والدراسة ولاسيما ونحن في بدء نهضة جديدة تتطلب كثيراً من العناية بهذه الناحية وتتطلب منا تفهم الروح التقليدية العربية وافهامها لطلابنا وناشئتنا الجديدة وتتطلب فهم تلك الاسس الصالحة التي اتخذها اجدادنا شعاراً لهم .

اذن فمن حقنا ان نعتني بهذا الموضوع ومن حقنا ان نبحث فيه بدقة وامعان . وقد طالعت الموضوع بتلهف واهتمام ولكني مع الأسف لاحظت عليه الاسلوب الارتجالي في بعض نقاطه وفي بعض ما استشهد فيه الدكتور وفي بعض ما استنتج . نعم لقد اعوزه دقة الدليل وقوة الحجة في بعض ما قال لذلك وقع في اشتباهات لا تغتفر وفي اضطراب لاينض عنه النظر ولا اريد ان اناقش الكاتب مناقشة تخرج الى ما يمل القارئ لذلك اقتصرت على بعض ذلك .

قال الدكتور اثناء البحث (... وكان من نتيجة سيطرة الجند الاجانب خاصة بعد مقتل المتوكل على يد الترك ان اندفعت الروح العربية للظهور بشكل جديد اذ صارت تتمثل في حركة الجماهير ضد السادة المغتصبين وضد الاوضاع القائمة . وعلى رأس المدافعين الادباء الثعالبي والهمداني وابن قتيبة والجاحظ .. وكانت حركة الجماهير هذه قليلة التنظيم اللهم الا اذا استثنينا منظمات العيارين والشطار والفتيان التي كانت حديثة العهد بالظهور .. الخ

وفي هذه الجمل التي ساقها الدكتور هنا نقاط لا يقرها التاريخ ولا يقرها الواقع . إذ لا اعرف كيف يستنتج الدكتور أو يقطع بأن حركة العيارين والشطار والفتيان كانت حركة شعبية جماهيرية قامت ضد الأجانب من الحاكمين وقامت باسم الروح العربية الصالحة المتحفزة لمقاومة الأجنبي . والواقع ان هؤلاء العيارين ونحوهم اوجدهم تفسخ المجتمع الاسلامي حينذاك فكانوا اداة تخريب وزادوا في الفوضى والاضطراب نتيجة لضعف الوازع وميلا الى النهب والسلب لضعف الحياة الاقتصادية ومن المعلوم ان كثيراً من هؤلاء كانوا من الاكراد والاتراك والفرس وفي ضمنهم العرب فليسوا هؤلاء قوما من العرب قاموا لاخذ حقهم كما يستنتج الدكتور بل كانوا مجموعة لصوص اعوزها المال واعوزها الخلق الادبي وكانت اعمالهم هذه ضد الامن وضد الآداب الاجتماعية (١) بل ضد الجماهير من الوسط والسوقة وقد سجل اعمال هؤلاء اللصوص كثير من مؤرخي الاسلام كالطبري وابن الاثير وابن الجوزي في تلبيس ابليس والتنوخي في الفرج بعد الشدة وغيرهم ولم يشر أحد منهم ان هؤلاء ضد الأجانب من الحاكمين لاعتناقهم الروح العربية وللدفاعهم عن العرب ولاهتمامهم بدولة عربية . كلا لم يسجل احد من هؤلاء هذا الذي يقوله الدكتور بل سجلوا عكس ذلك وهو ان كثيراً من هؤلاء كانوا يساعدون السلطة احياناً مهما كان نوعها كما وقع أيام حروب الامين والمأمون ولقد كان مع ابي دلف الامير المعروف من هؤلاء الصعاليك الوف يستخدمهم لتنفيذ مآربه وغاياته وفيما نقل التنوخي عن لسان كردي من هؤلاء اللصوص والعيارين (.. قلت يا هذا كيف بلغت هذه الحال قال نشأت فلم اتعلم غير معالجة السلاح وجئت الى بغداد اطلب الديوان فما قبلني أحد فانتظمت الى هؤلاء ..) دليل على ما نقول . إذن أمن الحق والصحة بعد هذا أن نقول عن هؤلاء انهم كانوا يمثلون الروح العربية الثائرة ضد السلطة الاجنبية من الترك والفرس وغيرهما . هذا شيء لا يقره التأريخ ولا يقره الواقع .

ومن العجيب جداً ان يقرن الدكتور حركة الشطار

---

(١) قال البيهقي في تاريخ حكماء الاسلام في ترجمة الفارابي سمعت استاذي رحمه الله يقول ان ابا النصر كان يرتحل من دمشق الى عسقلان فاستغفله جماعة من اللصوص الذين يقال لهم الفتيان فقال لهم خذوا ما معي من الدواب والاسلحة والثياب وخلوا سبيلي فابوا وهموا بقتله فصار مضطراً فترجل وحارب حتى قتل .

والعيارين بحركة الفتوة ويعتبرها كلها حركات اصلاحية من العرب ضد الاعاجب ولا نعرف من أين استقى الدكتور هذه الفكرة وقد مر على الفتوة ادوار عديدة عند العرب فقد كان الفتيان في الزمن الجاهلي والعصر الاموي مشهورين باللهو واللعب والانس والاريحية والنخوة والاخذ بالثار ومناصرة الغريب والتحلي بالرجولية . كما عبر عن ذلك شاعرهم منطوقا ومفهوما :

وليس فتى الفتيان من راح واغتدى
لشرب صبوح او لشرب غبوق
ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى
لضر عـــدو او لنفـع صديق

ونقل صاحب الاغاني في ترجمة جنين الحيري (... كان جنين غلاما يحمل فاكهة بالحيرة وكان لطيفاً في عمله(١) التحيات فكان اذا حمل الرياحين الى بيوت الفتيان ومياسير اهل الكوفة واصحاب القيان والمتطربين الى الحيرة ورأوا رشاقته وحسن قده وخفة روحه استحلوه ...) وقال ايضاً في ترجمته (.. قال جنين خرجت الى حمص للتمس الكسب بها فسألت عن الفتيان بها واين يجتمعون فقيل لي عليك بالحمامات فانهم يجتمعون بها اذا اصبحوا ... فذهبنا الى بيت احدهم فلما قعدنا اتينا بالطعام فاكلنا واتينا بالشراب .فقلت هل لكم من مغني يغنيكم فقالوا ومن لنا ... الخ)

فهذا الخبر وامثاله يدلنا على ان الفتيان كانوا في الدور الجاهلي والاسلامي الاموي اهل انس وطرب ونخوة وشهامة وما الى ذلك . ثم تطورت الفتوة فكانت في الدور العباسي ولا سيما في اواخر العباسيين تشبه حالة العيارين والشطار او قل انهم كانوا مثلهم في النهب والفتك والخروج على النظام حتى ضج المتدينون منهم والآمنون من سائر الناس وانتقدهم كثير من رجال التاريخ كما فعل ابن الجوزي في تلبيس ابليس حيث عدهم ضمن العيارين والشطار ومما يجب التنبيه له ان لفظ الفتوة عند المتصوفة خاصة اصبح له معنى اصطلاحي وصار لفظ الفتى عندهم يعني الرجل المتفاني في حب الخير للناس والمضحي لعواطفه الخاصة وشهواته النفسية والمقاوم لميوله الغريزية وقد سار هـــذا الاصطلاح جنباً الى جنب مع المعنى السابق وانتشر كثيراً في كتب المتصوفة وعقد له القشيري باباً خاصاً . وسلك ذلك بعده كثير من القوم وهذا هو الذي اوجد اضطرابا وتشويشا في فهم الفتوة . ومن فتوة التصوف نشأت الفتوة الاسلامية في زمن الناصر بالله وصارت ذات شروط وتقاليد دينية وادبية واجتماعية تخالف الفتوة التي كانت في الدور الاموي وما قبله وصار الفتى في دور الناصر وما بعده يفهم منه الرجل الشجاع المقدام المدافع عن الوطن والمتحلي بالخصال الحميدة وصار له شعار خاص ولباس خاص بل صارت الفتوة رتبة سلطانية تهدى من قبل الخليفة الى أعز اوليائه وامرائه كما صار للفتوة من قبل الناصر بقرن وما حوله في كتب الادب معنى ادبياً والفتى حسبما سجله البيروني في كتاب الجماهر من تحلى بالمروءة ومكارم الاخلاق والظرافة والادب والانسانية والخصال الطيبة .

يتبع

عبد الحميد الرحيلي

(١) التحية هي مجموعة من الريحان والازهار تقدم هدية للشاربين والمتطربين ايام الانس والاعياد ولا سيما عند النصارى والى ذلك اشار حسان (يحيون بالريحان يوم السباسب).

المال

للشاعر الشهير السيد احمد الصافي النجفي

إلهي !! ألا مال يبلغني المنى ... لأقضي حاجاتي وحاجات سؤالي
أرى المال للعلياء خير وسيلة ... وتحصيله يودي بغرة امثالي
أرى بذله يفضي لعز ورفعة ... وتحصيله يدعو لمسلك انذال
أرى المال كالافعى يروقك منظراً ... فان تقتنه يلسعك بالمنظر الحالي
تحاول بذل المال لي روح شاعر ... ويطلب مني كسبه روح حمال
فما تقتني العلياء إلا ببذله ... كأن به خصما لطبع الفتى العالي
لقد ضرني طبع كريم بلا غنى ... تعامت بذل المال لا الكسب للمال
إلهي سلطني على مال ذي غنى ... حريص لأفنيه ببر وافضال
واوجد لنا قوما لئاما لجمعه ... وقوما كراما همهم بذل اموال
وهبهم لنا من جامعي المال دائما ... بهائم لا تهتم بالقيل والقال
أري المال مهما اجتهد في طلابه ... يغر ؛ ضئيلا لا يحقق آمالي
أروم اقتصاداً خوف فقر وانما ... بنفسي غنى يهزأ بفقري واقلالي
اقطع من عيشي اقتصاداً وان أتى ... اخو حاجة احبوه حتى باوصالي